حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

قال -رضي الله عنه-: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: الصَّلاَةَ جَامِعَةً - الصلاةَ هكذا منصوبة، ومن الناحية العربية (**الصلاةَ جامعةً**): (**الصَّلاَةَ**) منصوب على الإغراء، (**جامعةً**) منصوب على الحال- **فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تُكْشَفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ**- يعني: هذه التي تهلكني، هذه التي تدَّمرني- **فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ؛ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ، قَالَ الراوي -عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ-: فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ! أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ ﴾ [النساء: ٢٩]- يعني طرح الدعوى وطرح عليه الدليل؛ ليُريك هذا الصحابي الجليل عبدَ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه – قال: **فَسَكَتَ عَنِّي سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ»**، أي :إذا أمرك أن تأكل أموال الناس في الباطل؛ قل له: لا، إذا قال لك: اقتل فلانًا، اضرب فلانًا؛ قل له: لا، "**لا طاعة**

لمخلوق في معصية الخالق"[1]، إذا أمرك بالصلاة، بالصوم، بالزكاة، بالحج، بالقيام بوظيفة، بعمل معيَّن، بأيِّ شيء؛ ما دام هو طاعة من طاعات الله، مادام هو في أمر مباح؛ فعليك أن تطيعه.

هذا الحديث -يا إخوة!- لا يطرح على مسامع كثير من شبابنا؛ وهذا ظلمٌ للإسلام، وهذا ظلمٌ للحُكَّام؛ لأنَّ الله -تبارك وتعالى- أمرنا بالقسط على النفس، وعلى الآباء، وعلى الأبناء، وعلى الأعداء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨]، فالمسلم يجب أن يقول كلمة الحق، ويصدع بها، ولا يخشى في الله لومة لائم.

واللهِ هناك إرهاب سياسي وفكري على من يتحدَّث بهذه الأحاديث في بيان الحقِّ الفاصل في هذا الباب، هذا الباب فيه أحاديث كثيرة مكتومة ومدفونة لا يُصدَع فيها بالحق! فمن الظلم للإسلام وللمسلمين أن نكتم هذا الحق، وأن نحول بين شباب الإسلام وبين أن يعرفوا الحقَّ الذي لهم والحقَّ الذي عليهم، لا أن نعلِّمهم بالحقوق وبغير الحقوق؛ فقد نُمَنِّيهم بأمورٍ ليست لهم، وقد نُعَرِّفُهم على حقوق لهم، ولكن حقوق الآخرين أين هي؟ أليس هذا ظلمًا؟ أليس هذا رفضًا لحاكمية الله تبارك وتعالى؟ فيجب -أيُّها المسلم!- أن تكون مُقْسِطًا، عادلاً، منصفًا، قائلاً بالحق وإن أغضب الكثير، الكثيرُ من النَّاس أصبحت تسيطر عليهم روح الخوارج، لا يطيقون سماع السُّنَن في هذا الباب، نقول لهؤلاء: هذا جانب من الحاكمية، فيجب أن نبرز الحاكمية متكاملة، والسياسة الإسلامية يجب أن نَعرضها للأُمَّة متكاملة، واضحة، مُشْرِقَةً؛ حتى لا يحصل هناك لَبْسٌ، الحاكمية التي نُرَبِّي عليها الشباب نُقَدِّم منها جانبًا ونُضْفِي الظلام على الجوانب الأخرى! هذا ظلمٌ للإسلام، وأنا واللهِ في كثيرٍ من الأشياء أجبن أن أذكر هذه الأحاديث؛ لأنَّ

---

[1] هذا نص حديث رواه أخرجه أحمد (٥/٦٦)، والطبراني في الكبير (١٨/١٦٥، رقم ٣٦٧) واللفظ له، والحاكم (٣/٥٠١، برقم ٥٨٧٠) وقال: "صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي. وانظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٥/٤٠٦-٤٠٧).

هناك إرهابًا فكريًّا لا يريد لهذه الأحاديث أن تدبَّ إلى مسامع الشباب، وهذه خيانة! وهذا كتمان للعلم! هناك عقائد صحيحة تُدَسُّ وتُدفن، ويُحال بين الشباب وبين سماعها وبين معرفتها، عقائد صحيحة لا يستجيز هؤلاء أن يظهر فيها الحق، بل يكتمون فيها الحق، يُرَبُّون الشباب على المجاملة، وعلى النِّفاق، وعلى المداهنة على حساب أصول الإسلام وفروعه، إذا فَتَّشْتَ هذه الدَّعوات؛ تجد فيها أخطاءً فظيعةً، ومغالطات رهيبة، وكتمانًا للحقِّ، وعيوبًا لا حدَّ لها، وفي نفس الوقت تبرز على أنَّها هي الإسلام، ولا يسمعون نقدًا، ولا يريدون نقدًا! وممكن أن تنتقد الحكومة فتصبر عليك، لكن هم لا يصبرون، ولا يطيقون أبدًا! أصبحت الأقلام ترتعش إذا أرادت أن تكتب خوفًا من إرهاب هؤلاء! إرهاب فكري خطيرٌ جدًّا لا يُسمَح فيه ببيان الحق! فعلينا أن نكون شجعانًا؛ نبيِّن الحق لنا أو علينا، لو كان هذا الحق لليهود أو النصارى أو المشركين الوثنيين أو الهنادك يجب أن نقوله؛ لأنَّه عدلُ الله، ولأنَّه حكم الله تبارك وتعالى، كيف عن مسلمين؟! كيف عن ناس يرفعون راية الإسلام؟! كيف نهضم حقهم؟! هذه الأحاديث لا يُتَحدَّث عنها، ولا تُطرَح في ساحات التربية، ولا في مناهج التربية.

فعليكم بتقوى الله! هذا أسلوب خبيث! هذا ليس أسلوبًا إسلاميًّا، هذا أسلوب الشيوعيين والبعثيين وأعداء الإسلام، يجب أن يتَنَزَّه عنه المسلم، المسلم حينما يقول كلمة الحق يصبح عميلاً، وجاسوسًا، وخبيرًا؟! نعوذ بالله –يا إخوتاه!– من هذا البلاء! أين العدل؟ وأين الإنصاف؟

هذا عبد الله بن عمرو بن العاص يقول له: هذا ابن عمك فلان يأمرنا أن نقتل أنفسنا وأن نأكل أموالنا بالباطل، والله يقول: كذا وكذا، ماذا قال عبد الله بن عمرو ابن العاص؟ قال: اخرج قاتل! ثُر! ثَوِّر الشعب! حاشاه أن يقول هذا الكلام؟ قال له: "**أَطِعْهُ في طاعة الله واَعْصِهِ في معصية الله**".

ونحن والله لو توضع السيوف على أعناقنا ما نستجيز أن نقول الباطل، نقول: أطع الأمراء في طاعة الله واعصهم في معصية الله، هذه رجولة أو ليست رجولة؟ هذه شجاعة أو عمالة؟ أطيعوا الأمراء في طاعة الله واعصوهم في معصية الله، هذا منطق إسلامي أو ليس بمنطق إسلامي؟ هكذا أنا أُقَدِّم هذا الحقَّ للشباب؛ ليعرف الذي له والذي عليه، وأبيِّن له وأرسم له الطريق التي

رسمها رسول الله عليه الصلاة والسلام، من الذي رسم هذه الطريق؟ رسول الله –عليه الصلاة والسلام– في أحاديث كثيرة؛ أذكر منها شيئًا، ثم أعود إلى شرح الحديث، هذا فيه قواعد اجتماعية، فيه قواعد سياسية، فيه قواعد عقائدية، حديثٌ عظيمٌ جدًّا! يجب أن نفقهه.

يقول عُبَادة بنُ الصامت –رضي الله عنه–: « **بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا** »، معنى الأثرة: أن الأمير الحاكم يستأثر بالأموال والمناصب، ويُجَرِّدُكَ منها ما عندك شيء، في حال هذه الأثرة يجب أن تسمع وتطيع، هذا الأسلوب رسمه عميل أو رسمه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه؟ رسمه الجواسيس والخبراء والمخابرات والعملاء أو رسمه رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ أنا أريد أن أُبَدِّد هذه الشُّبَه الظالمة المجرمة؛ التي تمنع الناس من أن يقولوا الحق وتخرس هذه الألسنة؛ تخرس ألسنة العلماء أن يقولوا كلمة الحق، لأنَّ سيف الإرهاب مُصْلَتٌ عليهم، فأصبحوا لا يخافون الحكام ولو كانوا ظلمة مثل ما يخشون هؤلاء؛ لأنَّهم أظلم واللهِ من الحكام؛ من هم العملاء الأَخِسَّاء الذي يقف إلى جانب الكفرة والملاحدة ويؤيدهم على الإسلام والمسلمين أو من يقول كلمة الحق؟ نقول كلمة الحق بشجاعة، ولا نخشى في الله لومة لائم، على الحاكم والمحكوم، لا تطيعوا حاكمًا في معصية الله تبارك وتعالى، وأطيعوهم في طاعة الله عزَّ وجلَّ، هذا الواجب؛ أقولها بشجاعة كما عَلَّمَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا استعسر عليك فاصبر، أمرك رسول الله –عليه الصلاة والسلام– في المنشط والمكره، وعلى أثرة علينا؛ يستأثر بحقوق النَّاس من مناصب وأموال ويأخذها ويجتاحها؛ ماذا تصنع؟ ما دام يصلي، ما دام لم تر كفرًا بواحًا؛ فلا تخرج: « **وَأَنْ لا يُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ حَتَّى تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ** »[٢]، هذه تعاليم من؟ تعاليم العملاء أو تعاليم رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ لماذا يقول الرسول –عليه الصلاة والسلام– هذا الإرشاد، في حالة ظلم وأثرة يستأثر بالأموال والجاه والمناصب وكل شيء، ويُجَرِّدُك

---

[٢] أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٦)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

من كلِّ هذه الأشياء، لكنه مسلم يصلِّي ويزكِّي ويأمر بالصلاة والصوم، وغلبته نفسه وغلبه هواه؛ يقول لك الرسول: اخرج، قاتل، ثُرْ، اشحن أذهان الشباب بالثورة، أو يقول لك: اصبر حتى ترى كفرًا بواحًا واضحًا مثل الشمس، ليس عليه غبار، ليس فيه قتام، ليس فيه ضباب، ليس فيه شيء أبدًا، أحيانًا تكون هناك غيوم دون الشمس ما تراها تحجبها، لكن الشمس واضحة، مثل الشمس واضحة تُرَى مكشوفة، هل يقول لك: ليس هناك صلاة؟ الإسلام هذا ما يصلح؟

الإسلام هذا رجعي لا يصلح لهذا الوقت، قطع يد السارق وحشية ؟ إذا قال هذا يقاتله النَّاس،إن كان هناك استطاعة وليس هناك مفسدة كبرى أعظم من المصلحة فإذا كانت المفسدة أعظم من المصلحة فعلى المسلمين الصبر حتى يأتي الله بالفرج هذا كلام حق أو باطل؟ وهذا يقوله الجبناء أو الشجعان؟ نحن نقول كلام الرسول –عليه الصلاة والسلام– ونبيِّنه لكم وهو واضح أمامكم؛ لأنَّ الفتنة الآن ضاربة الأطناب في عقول الشباب، فاستهانوا بالعلماء، ورموهم بالبوائق المدمِّرة المهلكة، في نفس الوقت غرسوا في أرواحهم روح التمرد –والعياذ بالله!–؛ تمرد على الله وعلى رسوله وعلى العلماء؛ تقول: قال الله قال رسول الله في القضية الفلانية كذا؛ يرفض! هذه –والعياذ بالله!– تربيةٌ خطيرةٌ جدًّا! قضية كقضية الاستعانة فيها آيات وأحاديث، وكلام الفقهاء وجمهور العلماء قالوا بالجواز، والواقع يشهد للحاجة المِلحَّة والضرورة الشديدة إلى الاستعانة بهؤلاء الكفار المجرمين، اضطررنا كما نضطر إلى الميتة، كيف نرفض ونعارض ونرد الأحاديث الكثيرة؛ هذا إسلام يا إخوتاه؟! أهذا هو الإسلام؟! تُرفَض سُنَّة رسول الله ويُطعَن في العلماء الذين يُدْلُون بحكم الله؟! والله لو كان العلماء خالفوا الكتاب أو خالفوا السُنَّة أو خالفوا أقوال الأئمة؛ لأنكرنا عليهم، لكن ما هو المسوِّغ؟

إذا جئت إلى كتاب الله تجده معهم، وإذا جئت إلى سُنَّة رسول الله تجدها معهم، وإذا جئت إلى أقوال العلماء تجد العلماء معهم، علماء الحاضر والماضي معهم.

ليس هناك أيُّ مسوِّغ لمثل هذا الموقف ولا هذا الإرجاف –والعياذ بالله!– يعني امتلأت القلوب بالبغضاء والشحناء لا لشيء إلا لنصرة الباطل، واللهِ ليس لنصرة الحق! لنصرة الباطل والهوى، والعياذ بالله!

نرجع لشرح الحديث: «**وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي**» جاءت الفتنة الثانية أكبر منها فنسوا الأولى ورأوها صغيرة، الأولى جاءت أصغر من هذه، وجاءت الثالثة أكبر من الثانية، وجاءت الرابعة أكبر من الثالثة؛ كلُّ واحدة تُرَقِّق التي سبقتها.

«**ثُمَّ تُكْشَفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المؤْمِنُ: هَذِهِ! هَذِه!**»: أنا خائف! مضطرب! هذه هذه التي تهلكني، يعني هذا تصوير لإنسانٍ مضطرب خائف مرتجف من الفتنة! ما الحل؟ ما المخرج؟ «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**» : هذا رصدٌ للمنهج والعقيدة العامة الشاملة التي تبني عليها حياتك، إيمانٌ ثابتٌ؛ عَضٌّ على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله، وعلى عقائد التوحيد، وعلى العبادات الصحيحة، تَعُضُّ عليها بالنَّواجذ كما أوصاك في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، إيمانٌ بالله، وإيمان باليوم الآخر، ومستلزماتِها كلِّها تتمسَّك بها؛ بما تفهمه من كتاب الله ومن سُنَّة الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا في التعامل مع الله، ومع القرآن، ومع السُنَّة، ومع الرسول عليه الصلاة والسلام.

كيف تتعامل مع المجتمع؟ «**وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**» هل تُحِبُّ أن يُنَال عرضُك؟ ما تحب؛ إذن احترم أعراض الآخرين، تُحِبُّ الصدق، وتُحِبُّ الأخلاق الفاضلة، وتُحِبُّ الخير، وتُحِبُّ البر، وتُحِبُّ أن يحترمك النَّاس، فكلُّ ما تُحِبُّه لنفسك أيضًا تأتي إلى النَّاس الذي تُحِبُّ أن يُؤتى إليك، تتعامل مع المسلمين ومع غير المسلمين بالأخلاق المثلى العالية التي ربَّاك عليها الإسلام: «**بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق**»[3]، وقد يقول البعض: إنَّك تتهجم على النَّاس!

---

[3] ذكره مالك في الموطأ بلاغًا (١٦٠٩)، وأخرجه أحمد (٣٨١/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، والبزار برقم (٨٩٤٩)، والقضاعي في مسند الشهاب برقم (١١٦٥)، والحاكم (٦٧٠/٢، برقم ٤٢٢١) والبيهقي في الكبرى (١٩٢/١٠، برقم ٢٠٥٧٢)، وغيرهم.

قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم".

أنا مضطر واللهِ؛ صبرنا أكثر من عدة سنوات على هذه الضغوط، لكن لما رأينا عقول شبابنا يجتاحها تيَّارات مُدَمِّرَة؛ فلابُدَّ أن نصدع بالحق، وآخر الدواء الكي لابُدَّ من هذا، وقد يلجأ إلى مثل هذا رسول الله –عليه الصلاة والسلام– في المواقف الفاصلة من بيان الحق والفصل بين الحق والباطل، واقرؤوا آيات التوبة كيف تكشف وتفضح المنافقين، فنحن نريد شبابًا يعيش في ظِلِّ كتاب الله وسُنَّة رسول الله ومنهج السَّلف الصالح، ليس عنده مجاملة ولا مهادنة ولا نفاق ولا اعوجاج، استقامة في صراط الله تبارك وتعالى، يقبل الحق سواءً كان له أو كان عليه، ويرفض الباطل مهما كان مصدره، لا نريد حزبيات نعبدها وندور في فَلَك هذا الحزب، ونوالي ونعادي من أجل هذا الحزب، وكلُّ ما جاء من هذا الحزب فهو الحق، وكلُّ ما خرج عن هذا الإطار فهو باطل، لو جاءك من القرآن والسُّنَّة فأنت ترفضه هذا الخطر! ما يمكن أن يسكت عنه مسلم يريد للأُمَّة الحقَّ والخير، إنَّ السكوت على مثل هذا نفاقٌ على حساب الإسلام، ومجاملة، ومداهنة، ليس من الأخلاق الإسلامية في شيء، هل المداهنة والنِّفاق والمجاملة والسكوت على الباطل الذي يَفْتِكُ بعقول النَّاس من الأخلاق الإسلامية؟ كلا واللهِ؛ ليس من الأخلاق الإسلامية في شيء، قال الله تعالى في شأن الكفار: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القلم: ٩]، وقال لنبيه –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤].

فالحديث اشتمل على ثلاث نقاط:

فالنقطة الأولى عقائدية وفكرية واجتماعية، والثانية أخلاقية مع الناس، والثالثة من باب السياسة، هذا من السياسة؛ علاقة الحاكم بمحكومه، كيف العلاقة بين الحاكم والمحكوم؟ بيَّنه رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لأنَّ الرسول –عليه الصلاة والسلام– قال: « **لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمَهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**».

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/٣٣٣): "وهذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم".

وهذا الحديث فيه دلالةٌ على الخير وإنذارٌ من الشر؛ فيه دلالةٌ على الخير لهذه الأُمَّة وفيه إنذارٌ من الشر، الشرُّ أنَّ تأتي فتنٌ خطيرةٌ جدًّا، يُرَقِّقُ بعضُها بعضًا، وصفها الرسول عليه الصلاة والسلام ودلنا على الخير ما هو:

- أن نثبت على الإيمان والإسلام حتى نلقى الله —تبارك وتعالى- إذا أردنا النَّجاة من النار ودخول الجنَّة، إيمانٌ بالله: يعني الإيمان بالكتاب، وبالرسل، وفرائض الإسلام وقواعده وأصوله وعقائده ومنهجه، هذا النص الإجمالي يقتضي هذا ويستلزمه إن شاء الله.

- علاقتك بالنَّاس وتعاملك معهم بالأخلاق الطيِّبة.
- علاقتك بالحاكم كيف تكون: «**مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ؛ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ**»، قال تبارك وتعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يعني التكاليف كلها منوطة بالقدرة والطاقة، فإذا قدرت على القيام بعمل معيَّن؛ فعليك أن تقوم به، وإذا عجزت عنه أو عن بعضه؛ فعليك أن تؤدِّيَ منه ما تستطيع، كذلك في طاعة الحاكم تطيعه في طاعة الله -عزَّ وجلَّ- في حدود الطاقة، وكان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يبايع أصحابه على الطاعة، فيقولون: بايعناك على السَّمع والطاعة، ويسكتون، فيقول لهم: فيما استطعتم[٤]، يُلَقِّنُهم عليه الصلاة والسلام وهو الرؤوف الرحيم، وإذا بايعك إمامٌ فأعطيته صَفْقَة يدك وثَمَرَة قلبك؛ فأطعه ما استطعت، «**فإن جاء آخرٌ ينازعه فاقتلوا الآخر**» لماذا يُقتَل؟ لتحقيق وحدة الأُمَّة، لضمان استمرار هذه الوحدة التي فرضها الله -تبارك وتعالى- على هذه الأُمَّة؛ لأنَّه لما يشقُّ صفوف المسلمين ويُمزِّقهم تحدث فتنة لا حدَّ لها، وقد تُراقُ دماءٌ، وتذهب أموالٌ ...

لكن ما دام شعائر الإسلام قائمة، وأركان الإسلام قائمة، ومناهج الإسلام قائمة؛ فليس لمسلم أن يُحرِّك أيَّ نائم أبدًا، إلا على الالتزام بالطاعة المشروعة التي شرعها رسول الله عليه الصلاة

---

[٤] رواه ابن عمر رضي الله عنهما؛ كما في صحيح البخاري (٧٢٠٢)، ومسلم برقم (١٨٦٧).

والسلام، ونحن نقولها ونصدع بها وإن رضي من رضي وإن كره من كره؛ لأنَّه الحق، ولا يجوز الظلم والعدوان على المساكين، فكيف على غيرهم! «**فمن بايع إمامًا فأعطاه صَفْقَةَ يده وثَمَرَة قلبه، فليطعه إن استطاع فإن جاء آخرُ ينازعه فاقتلوا الآخر**» إلى آخر الحديث، ولما روى عبد الله بن عمرو بن العاص هذا الحديث، ووصل في النهاية إلى تقرير موقف المسلم من الحاكم المسلم عادلاً أو جائرًا، قام واحد متحمِّس –ربما يكون ثوريًّا– قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: "**إنَّ ابْنَ عَمِّكَ فُلانًا يَأْمُرُنَا أَنْ نَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَأَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بِالْبَاطِلِ**"، انظر مشكلة خطيرة جدًّا! يأمر بالقتل والنَّهب! طبعًا أنا ما أُصَدِّق هذا الحماسي أنَّ الأمر وصل إلى هذا الحد، لكن نفرض أنَّه وصل إلى هذا، كيف كانت فتوى هذا الصحابي الجليل؟ "**سَكَتَ سَاعَةً**" رُبَّما داخ من هذا الأمر المحرج وأجابه: "**أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ**"، فكلُّكم أيُّها الشباب! ادرسوا هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي تُعَلِّمُكم قبل كلِّ شيء الإنصاف والعدل، إذا كنت تطلب من الحكومة أن تكون عادلة فيك تعطيك حقوقك، أنت أيضًا أعطها حقوقها، بينما الأمر في الحديث: يسأل سائل يقول: "كيف إذا قام فينا أمراء يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقَّنا، أعرض رسول الله عليه الصلاة والسلام، فسأل مرة ثانية فأعرض، فسأله مرة ثالثة فأعرض، فجذبه الأشعث بن قيس وقال الرسول –عليه الصلاة والسلام–: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**» [٥]، هكذا السؤال: "يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقَّنا"، نحن الآن في دولة تسأل حقَّها من النَّاس وتمنع حقوقهم أو العكس؟ كثيرٌ من النَّاس لا يريد أن يعطي الحقَّ من نفسه، ويطلب لنفسه أكثر مما يستحق، ولا يرى طاعة! أمرٌ خطيرٌ جدًّا! أمرٌ رهيب! إذا كنت تدعو إلى حاكمية الله –يا أخي!– فأنت أوَّل من ترفض حاكمية الله إذا كانت هذه هي مواقفك، وإذا كان هذا هو أسلوبك، وإذا كان هذا هو المنهج الذي تسير عليه، فأنت أوَّل من يرفض حاكمية الله تبارك وتعالى، ولا ينصاع لتوجيهات الرسول

---

[٥] أخرجه مسلم برقم (١٨٤٦)، من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه.

الكريم عليه الصلاة والسلام، فالحاكم أقلُّ منك ظلمًا إذا كان فيه ظلم، فاتَّق الله في شباب الأُمَّة، وعَلِّمهم الحق، وعلِّمهم المنهج الإسلامي الصحيح منهج أهل السُنَّة والجماعة، وابتعد بشباب الأُمَّة عن مناهج الخوارج والروافض؛ التي لا شغل لها أبدًا من صدر التأريخ الإسلامي إلى الوقت هذا إلا المشاغبة، والمناهضة، والأذى، والفتن، والمشاكل، أوَّل فتنة بدأت من عهد عثمان الخليفة الراشد بل قبل عثمان سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– لما كان أميرًا بالعراق من قبل عمر رضي الله عنه، كان يصلِّي على السنة، وعادل ومنصف، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنَّة، ذهبوا يشكون لعمر وقالوا: لا يعرف يصلِّي، ولا يؤدي الحقوق! يكذبون على هذا الرجل، دعاه عمر –رضي الله عنه– قال له: اجلس، والله لا أتهمك، لكن اجلس[6]، بدأ الشغب بهذا الشكل، وبعد ذلك عثمان ثَوَّر عليه عبدُ الله بن سبأ الغوغاء، وعثمان خليفة راشد، ثوَّر عليه ابن سبأ الهمج والأوغاد والرعاع، وصوَّره لهم في صورة الحاكم الظالم، وأثارهم عليه حتى قتلوه، والعياذ بالله! فالنَّعرات السياسية تُعمي عن الحق، وتؤدِّي إلى فتن، والمخرج من مثل هذه الفتن أن تدرسوا سُنَّة رسول الله ومنهج السَّلف الصالح وفقههم، وإلى متى يجب أن تسير مع الحاكم وتسايره وتمشي معه، تلزم السمع والطاعة له، حتى ترى الكفر البواح، وثمة انسحب إن كان هناك قدرة ومصلحة راجحة، أمَّا ما دام عنده صلاة وصوم وزكاة، وحقوق المسلمين مؤداة، والخير والمناهج الإسلامية والدعوة، فعلينا بتقوى الله والسمع والطاعة، والله لو يأتي حاكم من هذه الأنواع لعشنا في جحيم مثل جحيم ليبيا وجحيم العراق وجحيم سوريا وجحيم اليمن وجحيم الدنيا كلِّها، واللهِ لنرى أوضاعًا أشدَّ من هذه، وليبكين الشباب يومًا من الأيام على هذا العهد الذي يقوم على الإسلام، وعلى التوحيد، وعلى كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله، والدَّخن والأخطاء موجودة، لا يجوز أن نسكت، نقول ليس هناك شيء لا؛ فيه خلل وهو موجود، لكن الرسول يأمرنا بالصبر عليه الصلاة والسلام كما سمعتم وإلى أي: مدى تصبر، يجب أن نفقه

---

[6] انظر: صحيح البخاري برقم (٧٥٥) و(٣٧٠٠).

هذا، ويجب أن تكون هذه الحقيقة واضحة في ذهن كلِّ مسلم، خصوصًا في هذه الفتن الخطيرة التي تُعَرِّض شبابَنا لمصير لا يعلمه إلا تبارك وتعالى.

وفَّقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا.